أبو الحارث جمين

أعــلام الظرفــاء

أبـو الحارث جمين

هو أبو الحارث جمين المديني كان بطالا مضحاكا يـأتي بـالنوادر، أبو الحارث البصري [1].

مواقف من حياته:

ثلاث سمكات:

مر أبو الحارث جمين يوما بسوق المدينة فخرج عليه رجل من زقاق ابن واقف بيده ثلاث سمكات قد شق أجوافها وقد خرج شحمها فبكى أبو الحارث ثم قال: تعس الذي يقول:

(فلم تَرَ عيني مثــلَ سِــربٍ رأيتــه ::: خرجن علينا من زُقاقِ ابنِ وَاقــفِ)

وانتكس ولا انجبر والله لهذه السمكات الثلاث أحسن من السرب الذي وصف.

الملائكة والذباب :

قيل له من يحضر مائدة محمد بن يحيى؟ فقال: أكرم الخلق والأمهم يعني الملائكة والذباب، ونظر يوماً في المرآة فاستقبح وجهه، فقال: الحمد لله الذي لا يحمد على المكروه غيره.

لما سقطت من بين أصابعه حبة واحدة:

ثم قيل لأبـي الحـارث جمين: كيف وجـه محمد بن يحيى علـى غدائـه قال: أما عيناه فعينا مجنون وقال فيه أيضاً: لو كان في كفه كر خردل ثم لعب الأبلى بالأكرة لما سقطت من بين أصابعه حبة واحدة وقيل له أيضاً: فكيف سخاؤه على الخبز خاصة قال: والله لو ألقي إليه من الطعام بقدر ما

(1) أبو الحسن علي بن عمر الدارقطني البغدادي، المؤتلف والمختلف، تحقيق الدكتور موفق ابن عبد الله بن عبد القادر، دار الغرب الإسلام، 48/3، ابن الجراح، الورقة، 9/1.

إذا حبس نزف السحاب ما تجافي عن الرغيف[1].

وما المرء إلا حيث يجعل نفسه:

ونظر أبو الحارث جمين الى برذون يستقي عليه الماء فقال: وما المرء إلا حيث يجعل نفسه لو أن هذا البرذون هملج ما فعل به هذا [2].

فمن يحضرها؟:

وسأل يحيى بن خالد أبا الحارث جمين عن طعام رجل، فقال: أما مائدته فمقببة، وأما صحافه فمخروطة من حب الخردل، وبين الرغيف والرغيف فترة نبي. قال: فمن يحضرها؟ قال: الكرام الكاتبون. قال: فمن يأكل معه؟ قال: الذباب.

لم يفعل:

قال له يحيى: وأرى ثوبك مخرقاً فلا يكسوك ثوباً وأنت في صحبته؟ قال: جعلت فداك، والله لو ملك بيتاً من بغداد إلى الكوفة مملوءاً إبراً وفي كل إبرة منه خيط، وجاءه يعقوب يسأله إبرة منها يخيط بها قميص يوسف ابنه الذي قد من دبر، ومعه جبريل وميكائيل يضمنان عنده لم يفعل.

فوضع بين أيدينا مائدة:

وقال أبو الحارث جمين: دخلت على فلان،فوضع بين أيدينا مائدة كنا أشوق إلى الطعام إذا رفعت منا إليه إذا وضعت[3].

ولكنه لقيه بعصا:

قيل له: ما تقول في فالوذجة؟ قال: والله لو أن موسى لقي فرعون بفالوذجةٍ لآمن، ولكنه لقيه بعصا.

(1) الجاحظ، البخلاء، 1 /131.
(2) أبو عثمان عمرو بن بحر، البيان والتبيين، تحقيق فوزي عطوي، دار صعب - بيروت، الطبعة الأولى، 1968م، 265/1.
(3) ابن عبد ربه الأندلسي، العقد الفريد، 460/2.

على رائحة شواءٍ:

وقيل له يوماً: ما تشتهي؟ فقال: نشيش مقلاةٍ بين غليان قدرٍ على رائحة شواءٍ.

اسقه ماءً ليس فيه باذنجان:

وكان لا يأكل الباذنجان، فكايده محمد بن يحيى واتخذ ألوانه كلها باذنجان، فجعل كلما قدم لون فرابه الباذنجان فيه توقاه، وأقبل على الخبز والملح؛ فلما عطش قال: يا غلام، اسقني ماءً ليس فيه باذنجان.

فلما رجعنا كنت أول الموكب:

وقيل له: سبقت ببرذونك هذا قط؟ قال: بلى، مرة، دخلنا زقاقاً لا منفذ له وكنت آخر القوم؛ فلما رجعنا كنت أول الموكب.

هو ذا تحتاج إلى اللحم:

ودخل جماعة من إخوانه، فاشتهوا عليه لوناً يطبخه لهم، فدنا أحدهم من القدر ليذوقها، وأخرج قطعة لحم وأكلها، وفعل كل واحد منهم كذلك؛ فقال أحدهم: هي طيبةٌ لكنها تحتاج إلى شيءٍ لا أدري ما هو؟ فقال أبو الحارث: أنا أعلم، هو ذا تحتاج إلى اللحم [1].

تركه وانصرف:

وحكى دعبلٌ قال: بلغني أن أبا الحارث قد مرض، فاغتممت لظرفه وملاحته، فصرت إليه فوجدته في عافية؛ فحمدت الله وسألته عن خبره؟ فقال: دخلت الحمام وأكلت السمك، ودعوت المزين فأخذ شعرى، فظن الفالج لما رأى المزين عندي أني احتجمت؛ فلما علم أنه أخذ من شعري تركني وانصرف.

روح العجة:

(1) الآبي، نثر الدر، 3 /167.

وأكل يوماً مع الرؤساء بيضاً مسلوقاً، فجعل يأكل الصفرة، وينحى البياض إلى بين يدي أبي الحارث عبثاً به؛ فقال لما طال ذلك عليه - وتنفس الصعداء -: سقى الله روح العجة فما أعدلها.

ما تشتهي؟:

ودخل إلى بعض أصدقائه يوماً، فقال له: ما تشتهي؟ قال: أما اليوم فماء حصرم، وأما غداً فهريسة. قال بعضهم: دخلت على جمين أعوده من مرضٍ به، فقلت له: ما تشتهي؟ فقال: أعين الرقباء، وألسن الوشاة، وأكباد الحساد.

فرددت عليه بالضمير:

مر رجلٌ به فسلم عليه وأشار له بسوطه، فلم يرد عليه؛ فقيل له في ذلك؛ فقال: سلم علي بالإيماء، فرددت عليه بالضمير.

وما بين الرغيف والرغيف مد البصر:

وسأله يحيى بن خالد عن مائدة ابنه؛ فقال: أما مائدته فمن نصف كسرة، وأما صحافه فمنقورةٌ من قشور حب الخشخاش، وما بين الرغيف والرغيف مد البصر، وما بين اللون واللون فترة ما بين نبي ونبي. قال: فمن يحضرها: قال: خلقٌ كثيرٌ من الكرام الكاتبين. قال: فيأكل معه أحد؟ قال: نعم، الذباب. قال: سوءة له هذا، فشوبك مخرق وأنت بفنائه يطور، فلو رقعت قميصك. قال: ما أقدر على إبرة، قال: هو يعطيك، قال: والله لو ملك بيتاً من بغداد إلى النوبة مملوءاً إبراً في كل إبرةٍ خيطٌ، ثم جاء جبريل وميكائيل ومعهما يعقوب النبي عليه السلام يسألونه إبرة يخيط بها يوسف قميصه الذي قد من دبرٍ ما أعطاهم[1].

والرغيفان من عند العصفور:

وجاء إليه رجل يسأله شيئاً، وقال: قد قطع علي الطريق. قال: فعلي

(1) الآبي، نثر الدر، 3 /168.

إذا قطع الطريق. ولقيه رجلٌ - وقد تعلق به غلام - فقال: يا أبا الحارث؛ من هذا؟ قال: هذا غلام الفضل بن يحيى، كنت عند مولى هذا أمس، فقدم إلينا مائدةً عليها رغيفان عملا من نصف خشخاشة سوى ما ذهب عند النحت، وثريدة في سكرجةٍ، وخبيصة في مسعط، فتنفست الصعداء فدخل الخوان وما عليه في أنفي، فمولاه يطالبني بالقيمة. قال الرجل: استغفر الله مما تقول، فأومأ إلى غلامٍ معه وقال: غلامي هذا حرٌ إن لم يكن لو أن عصفوراً وقع على بعض قشور ذلك الخشخاش الذي عمل منه ذلك، لما رضي مولى هذا حتى يؤتى بذلك العصفور مشوياً بين رغيفين، والرغيفان من عند العصفور. ثم قال: وعلي المشي إلى بيت الله الحرام، إذا عطشت بالقرعاء رجعت إلى دجلت العوراء حتى أشرب منها ماءً، لو أن مولى هذا كلف في يوم قائظٍ شديد الحر أن يصعد على سلم من زبد، حتى يلتقط كواكب بنات نعشٍ كوكباً كوكباً؛ لكان ذلك أسهل عليه من أن يشم شام تلك الثريدة، أو يذوق ذائقٌ تلك الخبيصة. فقال الرجل: عليك لعنة الله، وعلي إن سمعت منك شيئاً بعد هذا.

في بطنه قبراً:

وقيل له وهو على نبيذ: كل من هذا الطين السيراني فإنه نظيف؛ فقال: ومتى بلغك أن في بطني قبراً.

وكيف علمت ذلك؟:

وقيل له: ما تغديت عند فلان؟ قال: لا، ولكني مررت ببابه وهو يتغدى. قيل: وكيف علمت ذلك؟ قال: رأيت غلمانه ببابه، بأيديهم قسي البنادق يرمون الطير في الهواء.

أعرى من الحجر الأسود:

وقال له الرشيد: لم لا تدخل إلى محمد بن يحيى؟ فقال: أدخل والله يا أمير المؤمنين، وأنا أكسى من الكعبة، وأخرج وأنا أعرى من الحجر

الأسود [1].

في بيتك وأنت تبغضها:

وقيل لجمين - وقد رأى سوداء قبيحة -: ابتلاك الله بحبها قال: يا بغيض لو ابتلاني بحبها كانت عندي من الحور العين، ولكن ابتلاك الله بأن تكون في بيتك وأنت تبغضها.

غمزه الآخر بحاجبه:

وقال له الرشيد: اللوزينج أم الفالوذج؟ قال: أحضرهما يا أمير المؤمنين، فأحضرا، فجعل يأكل من هذا وهذا، ثم قال: يا أمير المؤمنين، كلما أردت أن أشهد لأحدهما غمزني الآخر بحاجبه.

كيف تغني جبتك؟:

قال بصري لجمين: يأتينا المد والجزر في كل يوم مرتين. قال: يستأذن الله في هلاككم مرتين، وكأن قد. ورأوا عليه جبةً قد تخرقت، فقيل له: ما هذا؟ قال: غنت بقول الشاعر: لقا فؤادي، لقد بلى جزعاً.. قطعه البين والهوى قطعا ثم قيل له بعد ذلك: كيف تغني جبتك؟ فقال: قد كانت تغنى، وقد صارت تلطم في مأتم.

لبزق كل منهما في وجه صاحبه:

ودعته امرأةٌ كان يحبها، فجعلت تحادثه ولا تذكر الطعام، فلما طال ذلك به قال: جعلني الله فداءك، لا أسمع للغداء ذكراً. قالت له: أما تستحيي أما في وجهي ما يشغلك عن هذا؟ قال: جعلني الله فداءك، لو أن جميلاً وبثينة قعدا ساعةً لا يأكلان شيئاً لبزق كل منهما في وجه صاحبه[2].

حطي شراعك:

كانت عنان جارية الناطفي عندها جماعة من الشعراء وجمين معهم،

(1) الآبي، نثر الدر، 3 /169.
(2) الآبي، نثر الدر، 3 /170.

وحضرت المائدة فأرادوا أن يوسعوا لعنان فقالت: مكانكم! فلو مددت يدي إلى البصرة لنلتها، ومدت يدها فضرطت، فقال جمين: حطي شراعك حتى نتعشى بواسط[1].

وما كان معهم انفلت:

خرج أبو الحارث جمين مع عيسى بن موسى إلى الصيد فخلا به، فانحنى عيسى على قربوس سرجه فأفلت منه ضرطة، فالتفت إلى أبي الحارث جمين فقال: إنك ستجعل هذه نادرة تأكل بها، وإني أعطي الله عهداً لئن بلغني أنك حدثت بهذا لأضربن عنقك، فقال جمين: سبحان الله أيها الأمير، وأنا لا أدري بمن أتعبث وحديث من أتحدث؟! فلما انصرفا قام إليهما بعض أهل الدار فقال: كم اصطدتم؟ قال: فبادر أبو الحارث فقال: لا والله ما اصطدنا شيئاً، وما كان معنا انفلت، وأشار إلى نحو بطن عيسى[2].

لو صدئ القمر لجلي بأقل من هذا:

رفع وكيل لبعض بني هاشم في حساب ثلاثمائة درهم في جلاء مرآة، فقال جمين: والله لو صدئ القمر لجلي بأقل من هذا[3].

مرحباً بك يا نصف القرآن:

وقال جمين لرجل: أبو من؟ قال: أبو عبد الكريم الذي يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه. فقال: مرحباً بك يا نصف القرآن، ارتفع[4].

بأي شيء تشبه البدر؟:

قيل لأبي الحارث جمين: بأي شيء تشبه البدر؟ قال: بالحلوي إذا

(1) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 128/1.
(2) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 345/1.
(3) أبو حيان التوحيدي، البصائر والذخائر، 500/1.
(4) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 365/1.

سقيت لبن حليب طري بزبد مروي، وسكر طبرزد.

وكان يقول: ما أشبه البيض على الموائد إلا بالكواكب في الأفق[1].

لما أعارهم:

حدث رزين العروضي قال: رأيت غلاماً لمحمد بن يحيى بن خالد يضرب أبا الحارث جُمينْ بباب الجسر، فقلت له في ذلك. فقال: شتم مولاي فقلت له: لم فعلت؟ فقال: والله لو أن يوسف الصديق جاء إلى مولاه ومعه النبيون والملائكة شفعاء في أن يعيرهم إبرة يخيط بها ما قُدَّ من قميصه، وله طور مملوء إبراً ترسل المهر في أوله فلا يبلغ إلى آخره حتى يقرح، لما أعارهم. قال رزين: فقلت:

لو أرك أنبتت لكَ واحتشتْ ::: إبراً يضيقُ بها فضاءُ المنزل
وأتاك يوسفُ يستعيرك إبرةً ::: ليخيطَ قدَّ قميصهِ لمْ تفعلِ[2]

* * *

(1) ابن حمدون، التذكرة الحمدونية، 103/3.
(2) ابن الجراح، الورقة، 10/1.